الجزء الثالث

زلزال الحادى عشر من سبتمبر

التوابع .. المعقبات .. النتائج

- عالم جديد وملامح ومعايير جديدة
- ظلال الماضى وسيطرته على الحاضر والمستقبل
- العنف والإرهاب أم العدالة والشرعية
- السلام أمل الإنسانية وهدف الأديان
- نحن وأحداث ١١ سبتمبر
- زمن الهوان

الفصل الأول

عالم جديد وملامح ومعايير جديدة

نحن الآن نعيش فى عالم جديد بدأ مع مطلع الألفية الثالثة، ولكننا بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ نواجه منعطفاً خطيراً.. فالعالم الذى كان فى الألفية الثانية وما قبل ١١ سبتمبر يختلف عن العالم بعد ذلك، وواضح جداً أننا أولاً فى نظام عالمى جديد تسيطر فيه قوة واحدة على العالم وتلك القوة وإن تجسدت فى شكل دولة .. فهى فى الحقيقة كيان مؤسسي .. بعض الناس يطلقون عليه القطيع الإلكترونى ذا الألف ذراع وأسميته التنين الإلكترونى ذا الألف مخلب .. وأننا ثانياً فى إطار الاحتكارات العالمية والمؤسسات الدولية المعبرة عن نفسها فى شكل مؤسسات مهنية أو فى شكل إعلام مسيطر على العالم أو لوبى يسيِّر الأمور.. فتلك مسميات لأشكال مختلفة لكنها فى النهاية تعبر عن حقيقة مؤسسية واحدة.

إننا بعد أحداث ١١ سبتمبر أصبحنا نعيش فى عالم اتخذ القوة منطقاً وأسلوباً للحياة، وأصبح ما يحدث حولنا فى كثير من الأحيان يختلف مع قواعد المنطق وقواعد الشرعية الدولية وقواعد التراث الإنسانى الذى تعودنا على احترامه. وفى ظل تلك الأحداث ووفقاً لوجهة النظر الأمريكية فإن العالم قد انقسم إلى كتلتين: كتلة العالم المتحضر وكتلة الدول التى تساند الإرهاب، وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية تحارب الإرهاب بكل قوة مما دفع حلف الأطلنطى للإعلان عن وقوفه معها فى تلك الحرب

للرد على أحداث ١١ سبتمبر. وطالبت الولايات المتحدة العالم كله بالوقوف معها فى معركتها السياسية والعسكرية والاقتصادية ضد جماعات الإرهاب وما أسمته بالدول المارقة، كما أن الركود الذى اعترى الاقتصاد الأمريكى من جراء هذه الأحداث قد ارتد إلى نحر دول العالم كله بحكم ما للولايات المتحدة من آليات تجعلها تتحكم فى اقتصاديات الآخرين، فإذا كان العالم كله سيدفع فاتورة ما جرى لأمريكا بحكم قوانين العولمة فإن من حق أى دولة أن تطالب بأن تكون العولمة مساواة فى السراء والضراء وليس فى اتجاه واحد فقط وأن يعم نفعها الجميع بأقصى درجة ممكنة من المساواة والعدالة، فلا تكون لصالح القطب الأوحد فى المحل الأول.. يذهب جل مغانمها إليه فى حين يتحمل الآخرون خاصة البلدان النامية مغارمها.

والواقع أن الولايات المتحدة قد تعرضت للحوادث الإرهابية فى وقت كان فيه الاقتصاد الأمريكى يمر بمرحلة تباطؤ واضح منذ نهاية عام ٢٠٠٠ وكانت هناك توقعات متزايدة بأن تشهد فترة الربع الأخير من عام ٢٠٠٢ (أكتوبر- ديسمبر) بداية التخلص تدريجياً من هذا التباطؤ تمهيداً لدخول الاقتصاد الأمريكى مرحلة نمو جديدة بدءاً من العام التالى وكان السند الأساسى لهذه التوقعات هو ما اتخذه البنك الاحتياطى الفيدرالى الأمريكى من إجراءات توسعية فى السياسة النقدية، وبالطبع فإنه مع وقوع الأعمال الإرهابية التى تعرضت لها كل من نيويورك وواشنطن تأكد الجميع من أن حالة الاقتصاد ستتدهور أكثر فأكثر وأن الركود أصبح أمراً واقعاً. وربما كان الخلاف يدور فقط حول مدى عمق هذا الركود والفترة التى يمكن أن

يستغرقها حيث كان البعض يرى أن الأحداث لن تكون لها آثار اقتصادية طويلة المدى وأن قوة الدفع الأمريكى ستعمل على التخلص من هذه الأزمة سريعاً.

ولقد كشفت أحداث الحادى عشر من سبتمبر وما تلاها من تداعيات عن قصور ووهن بحضارة بعض الدول المتقدمة، فالتطور الصناعى والتكنولوجى فيها قد أدى إلى نضج المجتمع سطحياً وليس فى أعماقه، وأن التقدم التكنولوجى سبق بكثير التقدم الثقافى أو النمو الثقافى وأن ثقافة المجتمع كانت مجرد قشرة رقيقة سرعان ما تكسرت عند أول صدام وأول ضغط.. المجتمع الأمريكى الذى كان يقدس الحريات الشخصية ويحارب التدخل فيها ويقدس حرية الرأى ويرفض التفرقة.. المجتمع الذى كان يعتبر هذه المفاهيم مقدسات دستورية وصدرت فيها أحكام خالدة من المحكمة العليا تخلى فى أحيان كثيرة وبسرعة مذهلة ودون حرج عن كثير من ضمانات هذه الحريات والحقوق فأباح التنصت والاعتقال بمجرد الاشتباه والمحاكمة بلا ضمانات، وتورط فى ممارسات تجسد التفرقة العنصرية والقسوة وعدم التسامح والأمر بالاغتيال.. لقد تكسرت القشرة الرقيقة أو الورنيش الإلكترونى أو التكنولوجى أو الماكياج الذى كان يغطى قصور النمو الثقافى وظهر الجوهر وهو أن المجتمع لم يتخل كلية عن ثقافة رعاة البقر.. وهو موقف يتناقض مع ما بشر به مفكرون أمريكيون أثروا الفكر الإنسانى بثوابت الديمقراطية وحقوق الإنسان، وحرية الرأى وحق الاختلاف والتسامح.

ولعل مراجعة متأملة للمواقف والاتجاهات التى اتخذتها بعض الدول المتقدمة حيال الشرعية الدولية، ومبادئ العدالة

والقانون، وحقوق الإنسان، والانفعالات التى انساقت إليها أطراف عديدة، وكشفت فى لحظات صدق عابرة عن اتجاهات عنصرية من تهديد بحروب صليبية، وهجوم على الإسلام، ورغبة عارمة فى التدمير والإبادة، وإفراط فى استعمال القوة - تعكس جوهراً دفيناً لم يتخلص كلية رغم التقدم التكنولوجى والعلمى الهائل من ثقافة شكلت يوماً من الأيام مجتمعاً من طريدى العدالة والمغامرين والمتطرفين احتل أراضى جديدة تاركاً وراء ظهره بخفة متناهية جذوره وهويته.. متخلياً عن أهله وعشيرته.. متحللاً من تاريخه ووطنيته.. ثم راح فى جرأة بالغة يستولى على الأرض الموعودة، متخطياً كل العقبات بالحديد والنار، قابضاً على كل ما تصل إليه يده عنوة فى وضح النهار.. فإذا ما كانت الغنائم أو المزارع مملوكة لسكان أصليين أو كانت الأرض التى تغطى البترول والذهب عامرة بالزرع أو الضرع، مسكونة ببشر بدائيين- فلا بأس من إزاحتهم والتخلص منهم، ولا تثريب على إبادتهم واقتلاعهم من جذورهم.. فشريعة الغاب هى الحق والقانون.. ووضع اليد هو دليل الملكية وسند الشرعية قبل كل اعتبار. المال والذهب كان مقصدهم ومبدأهم، والعنف وسيلتهم وشريعتهم، وما اغتصبوه من أرض اعتبروه وطنًا وملكاً خالصاً لهم. ولا بأس من صلوات شكر لعل الرب يبارك عملهم، وأعياد واحتفالات تمجد فعلتهم وتزين تاريخهم.

ومن سخريات القدر أن هذه المسرحية المأساوية تتكرر فى العقود الأخيرة بمخرج جديد، وبإخراج عصرى، ومسمى مبتكر. ولا بأس من حائط مبكى وإحياء هيكل وصلوات شكر مجددة، ومراسم واحتفالات كبرى تمجيداً لواحة الديمقراطية الجديدة

فى الأرض الموعودة.

وهكذا بدا أن هذا التطور العلمى والتكنولوجى السريع فى بعض أجزاء العالم الغربى قد صاحبه قصور ذاتى فى تغيير السلوك والعادات وردود الأفعال بنفس المستوى. وأنه لا يزال يتمسك بقيم مختلفة وكأنه يعانى من حالة شيزوفرنيا سياسية وثقافية. وعلى سبيل المثال فبالرغم من التقدم العلمى الهائل فلا زال الكثيرون فى الدول المتقدمة يعتقدون فيما يُطلِق عليه بعض المفكرين "العلم المزيف" Pseudoscience، وهناك حوادث تاريخية تدل على ذلك فمثلاً تبنى أحد رؤساء فرنسا مشروعاً للبحث عن مصادر الطاقة والبترول فى الفضاء "إلف اكويتان" Elf-Aquitaine Project.. وفى ألمانيا توجد مجموعات تستخدم أشواكاً حديدية للكشف عن إشعاعات مسببة للسرطان تعجز عن تحديدها الأجهزة العلمية الحديثة!! وعند الشعب البريطانى فإن الإيمان بالأشباح أصبح ظاهرة قومية.. وفى اليابان مائة ألف يؤمنون بقراءة الطالع.

ولكن تبقى بعد ذلك ملاحظتان: الأولى أن ثمة ارتباطاً واضحاً بين البعد الثقافى ورسوخه تاريخياً وبين درجة نمو المجتمع وقيمه الدفينة وسلوكه فى الأزمات، فالدول العريقة بصفة عامة يكون فيها النمو الاجتماعى والثقافى أكثر تجانساً وأبعد عمقاً.. والثانية أنه من الخطأ أن ننسب التطرف والرغبة فى الهيمنة إلى مجتمع بأسره أو إلى هوية محددة أو ديانة بذاتها. والثابت أنه فى كل بلد توجد رموز تؤمن بشريعة الغاب وتسيطر على أذهانها أفكار ومعتقدات لا تتفق بالضرورة مع

العلم أو العدل أو المبادئ الإنسانية. ولعل ذلك يشرح إلى حد ما لماذا فى إطار أزمة الشرعية الدولية وإشاحة الرأى العام العالمى عن كثير من أوجه الظلم لا زالت توجد ردود أفعال أكثر عقلانية وأقرب إلى العدالة والشرعية فى بعض الدول المتقدمة ذات الثقافة العريقة.

وإذا تجاوزنا كل هذا ومع رفضنا القاطع لما حدث من اعتداء على الشعب الأمريكي وقتل آلاف الأبرياء، ومع تقديرنا الكامل لحجم الجرح الذى أصاب الكرامة الأمريكية وأثار شعور المواطنين بشكل غير مسبوق، فإن ما حدث على أرض الواقع للديمقراطية بعد ١١ سبتمبر فى أمريكا هدد بشكل واضح المبادئ المقدسة التى كان يؤمن بها الشعب الأمريكى فى حرية التعبير والوقاية من التنصت وفى منع الاعتقال وفى حرية التجمع وحرية الرأى، كلها سقطت عند أول أزمة حقيقية شعر بها هذا المجتمع الذى خاض معارك ضارية طوال تاريخه للحفاظ على انطلاق الفكر وحقوق الإنسان وحق الآخرين فى الاختلاف. وأصبحت هناك رقابة كاملة على المكالمات.. وصارت حرية الاجتماع غير مكفولة، وصدرت قوانين تبيح تعقب من يشتبه فى أنهم مجرمون حتى خارج حدود الولايات المتحدة الأمريكية. كما أصبحت هناك محاكمات استثنائية دون ضمانات قضائية.

ولعل هذا يعيد إلى الأذهان الدعابة التى قالها تشرشل يوماً وهى أن "الشعب الأمريكى وقادته فى معظم الحالات يصلون إلى الحل السليم بعد أن يفحصوا أو يجربوا كل الخيارات الأخرى!!" وهو أمر فى حالتنا هذه قد يحدث بعد ضياع الوقت وفوات

الأوان. لذلك فإن المأمول الا ينساق هذا الشعب العظيم - الذى استطاع برغم قسوة المنشأ وعنف البداية أن يقيم حضارة عظيمة اتسمت بقيم إنسانية رفيعة وأنجبت مجموعة من خيرة المفكرين والمبدعين والمصلحين الاجتماعيين وأثرت الديمقراطية والإنسانية بأعلام من أمثال تيودور روزفلت Theodore Roosevelt، و لينوس كارل بولنج PLinus Carl auling، ومارتن لوثر كينج Martin Luther King، وجون أدامز John Adams، وجون رولز John Rawls - فى ممارسات من شأنها أن تحدث مضاعفات قد لا يمكن علاجها.. ويجب أن تفكر الولايات المتحدة فى أسباب تزايد الكراهية ضدها بعد أن كانت دولة تتمتع دائماً باحترام وحب كل المطحونين والمقهورين والمظلومين، وأن تعالج المواقف المأساوية بمنطق عقلانى بعيداً عن ردود الأفعال العاطفية الناتجة عن الإحساس بجرح الكرامة، وبعيداً عن الإسراف فى استعمال القوة أو مسلسل العنف ونزيف الدمار.

الفصل الثانى

ظلال الماضى وسيطرته على الحاضر والمستقبل

وفى خضم هذه الأحداث وبداية الحرب فى أفغانستان- تحت راية محاربة الإرهاب وتنظيم القاعدة الذى أكدوا أنه سيهدد الحضارة الغربية- صدرت تصريحات من عدد من رؤساء الغرب يجب أن نتوقف عندها عندما تكلموا عن "حملة صليبية جديدة" وتهجموا على الإسلام. فهل كانت هذه التصريحات مجرد زلة لسان أم آنها كانت غفلة تظاهر أو سقوط قناع؟ الحروب الصليبية المعاصرة وثنائية المعايير السائدة الآن والوضع الحالى للأمة..كل ذلك جاء على زلة لسان!

إن هذه المقولة عن حرب صليبية وضرورة مقاومة محور الشر تذكرنى بالحرب الصليبية الأولى التى جاءت تحت شعار " يا مسيحيى الغرب اتحدوا لتحرير مهد المسيح " واليوم نقول " يا ديمقراطيى الغرب اتحدوا لمواجهة الإرهاب وانقاذ واحة الديمقراطية وهى إسرائيل، ومقاومة العرب والمسلمين والإرهابيين" وهو قول ظاهره الرحمة وباطنه العذاب، ظاهره نشر الديمقراطية والحرية والعلم والثقافة والفكر فى العالم، وباطنه إضعاف الهوية العربية والإسلامية وهذا يؤكد سيطرة الماضى على الحاضر والمستقبل.

فى المرة الأولى كانت كنوز الشرق هى الهدف الحقيقى.

فى المرة الثانية كان بترول الشرق هو الغاية الكبرى.

ولعل هذا يجرنا للحديث عن الحروب الصليبية القديمة وأوجه الشبه بينها وبين الحروب الصليبية المعاصرة فقد جاءت جيوش الصليبيين إلى الشرق الإسلامى وكونوا إقطاعيات، واحتلوا أرض فلسطين وبيت المقدس.. إلى أن تم طردهم وإخراجهم من قلعة عكا بفلسطين وتطهير الأرض العربية منهم ومن أطماعهم بعد حوالى قرنين من الزمان. إذن فقد سبق الاستعمار الأوروبى الحديث للعالم العربى تاريخ طويل من الاستعمار يمكن أن نصفه فى خصائصه ودوافعه وتركيبه " بالاستعمار الوسيط "[1]. فقد كان يتخفى وراء الدين فى شكل أو آخر. ولم يكن هذا الاستعمار يأتى فقط من جانب دين آخر غير الإسلام. بل كان -ويا للغرابة- يتستر أيضا تحت رداء الإسلام نفسه.

ولهذا الاستعمار الوسيط بدوره أصول وطلائع قديمة، لا نغالى إن تتبعنا أول خيوطها إلى العصور الكلاسيكية. فكل من الإغريق والرومان خرج للاستعمار البحرى عبر البحر المتوسط حيث كانت الوجهة الجنوبية فى الشرق الأدنى والأوسط هى المجال الاستعمارى الرئيسى. وظل الاستعمار الإغريقى قرونا حتى ورثه الاستعمار الرومانى رافعاً شعار " بحرنا **"Mare Nostrum"** أولاً ومحققاً ما عرف فيما بعد " بنظرية وحدة البحر

١ - الدكتور جمال حمدان : الاستعمار والتحرير فى العالم العربى.

المتوسط " . وكان هذا بداية عملية الشد والجذب، أو لعبة شد الحبل tug-of-war التاريخية، التى شهدها ساحلا البحر المتوسط، وأصبحت ملمحاً سياسياً أساسياً منذ ذلك الحين فى تاريخ حوض البحر المتوسط. ثم حدث انقلاب فى ميزان القوى. والسبب فى ذلك الانقلاب هو الفارق الحضارى الجديد فقد كان هذا بداية الأوج الحضاري و" العصر الذهبى " للعالم العربى بينما كانت أوربا تعيش " عصورها المظلمة " وبينما كان العالم العربى واسطة الدنيا ووسيطها التجارى الأول، كانت أوروبا على حافة المعمورة وتحت رحمة المواصلات العربية. هكذا طغى المد العربى على الساحل الشمالى فأخضعه أو على الأقل أخضع القطاعات الإستراتيجية الحرجة فيه وهى كل جزر البحر شرقا وغربا ابتداء من " قبرص وإقريطش " حتى مينورقة وميورقة، ثم الصقليتان " صقلية وجنوب شبه الجزيرة الإيطالية". ومعظم أيبريا، بل وزحف شمالاً إلى قلب فرنسا وأرسل لسانا إلى سويسرا. وبهذا تحول البحر المتوسط إلى بحيرة عربية مغلقة وخضع جنوب أوربا لكماشة عربية فكاها تخوم الأناضول فى أقصى الشرق وأيبريا فى أقصى الغرب.

ولكن هذه الكماشة لم تلبث أن تراخت ثم تفككت وارتدت الموجة العربية ثانية إلى الساحل الجنوبى. وقد شاءت أوروبا أن تجعل من هذا اللقاء حربا دينية ومن البحر المتوسط "خندقا" moat عميقاً بين المسيحية والإسلام وأن تواصل "المبارزة" duel التاريخية عبر "كَبَارِيه المتحركة" draw bridges الممثلة فى جزره ومضايقه الاستراتيجية. ومن المفيد لنا أن نحفظ فى أذهاننا دائماً هذه الصورة الرمزية للموقف، ليس فقط لأنها تعبر عن

استراتيجية العصور الوسطى بلغة وفنون العصور الوسطى، وإنما أيضاً لأنها تشبيه أثير حتى اليوم عند الكتاب والمؤرخين الأوربيين.

ومن ثم بدأت الحروب الصليبية التى تتألف من عدة موجات تشنجية موزعة على بضعة قرون. ومن الثابت تاريخياً أن الدافع الدينى لم يكن إلا قناعاً مذهبياً لاستعمار مادى بحت، وأوضح دليل هو أن أكبر مؤيدى الحروب الصليبية - بل أكبر تجارها - لم يكونوا سوى كبار تجار البندقية وجنوة وغيرها ممن كان لهم مصلحة مادية حاسمة فى تجارة الشرق. وهنا نتساءل هل كانت أول وأطول "حرب خنادق" فى التاريخ تتم على نطاق إقليمى أو شبه قارى؟

ولقد تكسرت سيوف الصليبية فى النهاية على أسوار القلعة العربية فى الشام ومصر إذ لم يستطع الاستعمار الصليبى أن يثبِّت أقدامه إلا فى عدة ممالك ممزقة مبعثرة من ممالك الجيب فى الشام والأراضى المقدسة لبضعة عقود متقطعة. وعاد البحر المتوسط خندقاً راكداً إلا من مناوشات القراصنة والمغامرين. وفى ظل هذا الهدوء المؤقت انغلقت أوروبا على نفسها وعكفت تتعلم من الدرس الذى نالته من الحروب الصليبية والذى لم يكن درساً استراتيجياً فحسب وإنما كان أساساً درساً حضارياً. فقد احتكت أوروبا الوسيطة المظلمة بحضارة العرب المشرقة واستعارت منها ما وسعها، ثم أخذت تنميها وتعمقها فكانت النهضة الأوروبية التى بدأت رحلة التطور التى ستصل بنا فى النهاية إلى الاستعمار الأوروبى الحديث .

وكان انتصار العرب فى الحروب الصليبية نتيجة للوحدة العربية التى تحققت فى القرن الثانى عشر وبسببها. وعندها أدرك الصليبيون أن لا مقام لهم فى أرض العروبة، فتحولت مكاسبهم إلى خسائر وانقلبت انتصاراتهم إلى هزائم. حتى انتهى الأمر - فى نهاية القرن الثالث عشر - بطردهم شر طردة من بلاد الشام. وسيأتى عن قريب - إن شاء الله - اليوم الذى يتمكن فيه العرب من إقامة دولة فلسطين التى عانت كثيراً من أصناف العذاب والقهر والمهانة وذلك بقوة الإرادة وبالوحدة، وبالعمل والعلم وقيم التقدم التى هى سند الحق الوحيد فى هذا الزمن.

من لا يستفيد من التاريخ يكرره

إن المعارك الصليبية لم تكن مجرد حروب. لقد كانت بالنسبة للوطن العربى تجربة خطيرة مليئة بالدروس والعظات... تجربة أثبتت للعرب جميعاً فى المشرق والمغرب أن وحدتهم هى الملاذ الذى يلوذون به وقت الخطر، والعاصم الذى يعصمهم من كيد الكائدين وشر المعتدين.

فقد كانت الحركة الصليبية بالنسبة للغرب الأوروبى مغامرة فاشلة كلفته كثيراً من التضحيات فى الأرواح والأموال التى ذهبت عبثاً لأن منطق العدوان لا يمكن أن ينتصر وسياسة البغى لا يمكن أن تنجح فى أرض عربية عُرف أهلها بالحرص على حريتهم وحرية بلادهم.

إن التجارب التى تمر بها الأمة العربية اليوم ليست جديدة

عليها، فقد سبق أن تعرضت هذه الأمة للأساليب نفسها من المؤامرات والدسائس والأطماع فى عصر الحروب الصليبية وعلينا أن نستفيد من هذه التجارب ونتعظ من دروس الماضى ونأخذ منها عبرة تعيننا على التغلب على أفدح خطر يواجه الأمة العربية اليوم وهو خطر إسرائيل ومَن وراءها.

لم يعد خافياً على أحد التعاون الوثيق بين الصليبيين الجدد - وهم نبت غريب لدعوة السيد المسيح الخالدة فى المحبة والسلام - والصهاينة لضرب المسلمين والعرب.. فمن المعروف أن الصليبيين والصهاينة بينهم عداوات تقليدية قديمة وأخرى وسيطة وثالثة حديثة.. وكثيراً ما اصطدموا.. غير أنهم أحياناً يتحالفون ويتعاونون ويتقاربون كلما كان العدو المشترك هو الإسلام والمسلمين.. والتاريخ شاهد على ذلك فى العديد من المواقف فى التاريخ القديم والوسيط والحديث.

وإذا كانت إسرائيل قد تمكنت اليوم بمساندة الغرب من اغتصاب بقعة عزيزة على كل عربى من صميم وطننا، فإن هذه التجربة ليست هى الأولى من نوعها فى تاريخ الأمة العربية. ذلك أنه حدث منذ تسعة قرون تقريباً أن خرجت جموع كثيفة من غرب أوروبا أطلقت على نفسها اسم "الصليبيين" - كما سبق أن أوضحنا - وجوهر المسيحية والصليب منهم براء واستطاعت أن تقيم لنفسها مُلكاً فى نفس البقعة من بلاد الشام، ومن هذا المركز المتوسط فى قلب الوطن العربى أخذ الغزاة الغاصبون يعملون على مد نفوذهم وسيطرتهم، تارة إلى أطراف العراق وطوراً إلى أطراف مصر وشبه الجزيرة العربية.(١)

١ - الدكتور سعيد عاشور : أضواء جديدة على الحروب الصليبية.

والواقع أن الباحث لا يسعه سوى أن يسلم بالتشابه الشديد بين الظروف التى أقام فيها كل من الصليبيين وإسرائيل دولتيهما فى نهاية القرن الحادى عشر وفى القرن العشرين - فى ذلك الجزء الحساس من جسم الأمة العربية. ففى كلتا الحالتين رفع المعتدى الغاصب رايات الحق ورسالات السماء وهو يخفى فى جعبته رغبته الدفينة فى اغتصاب الأرض والاستيلاء على حقوق الضعفاء، مستغلاً انقسام العرب وحكامهم فى الشرق الأدنى إلى قوى متنافسة لا يربط بينها رباط الإحساس بالخطر، وفى كلتا الحالتين ظهر رد الفعل قوياً في صفوف الأمة العربية؛ فلم يرض الضمير العربى عن ذلك الوضع، ولم يجد الرأى العام العربى ملاذاً يعصمه من الخطر إلا الوحدة، فارتفع صوت المخلصين ينادى بوحدة الصف ووحدة الهدف لاستخلاص أرض العروبة من مغتصبيها.

هذا هو التعاون الوثيق بين إسرائيل وصليبيى القرن الحادى والعشرين تحت دعاوى محاربة الإرهاب، وجماعة القاعدة والمتطرفين الذين سيهددون الحضارة الغربية.. وتناسوا أن الإرهاب لا وطن له ولا انتماء لديه وأننا فى الشرق وفى الأمة العربية وفى مصر على وجه الخصوص قد اكتوينا بناره، وأننا دفعنا من فاتورة الإرهاب ما أثر على اقتصادنا القومى، وتحملنا من قسوته ما روع الآمنين وتصدينا لمحاربته واقتلاعه بما لم تفعله دول كثيرة، ولازلنا نحذر من أخطاره وما زال عزمنا على التصدى له فى إطار الشرعية الدولية قائماً وبإصرار. **وهنا لا نستطيع أن نفهم ما جاء على لسان بعض أقطاب العولمة- كما سبق وأن أوضحت- أنها حرب صليبية.. وفى اليوم التالى**

اعتذروا وقيل أنها زلة لسان.. وإذا ضربنا بمشرط التحليل فى عمق التعبير - الذى سُمى زلة لسان - نصل إلى أن الهدف هو إضعاف الهوية واللغة والثقافة والفكر المخالف للعولمة أو القطب الأوحد فى العالم.

ولعل هذا يعيد إلى أذهاننا بعض الحقائق التاريخية - التى لم يستفد منها البعض - فالدول الكبرى لا تشعر بالخجل عندما تتبع مبادئ[1] :" **افعل ثم برر**" أى إنتهز الفرصة الملائمة لتسيطر على الدول الفقيرة وأما التبرير فيكون بعد التدبير. ومبدأ " **إذا فعلت فأنكر**" بمعنى أنه إذا تسببت القوى العظمى فى دفع الشعوب الفقيرة إلى اليأس والعصيان فعليها أن تنكر أن الذنب ذنبها ولها أن تنسبه إلى تخلف هذه الشعوب وأخطاء حكامها وخطرهم على العالم. ومبدأ " **فرق تسد** " أى إذا اجتمعت الدول الفقيرة على خيار واحد قد يكون فى صالحها وقد يكون فيه الأمل للخروج من دائرة التخلف فعلى الدول القوية أن تفرق شملهم وتبث الوقيعة بينهم وتقدم للبعض منهم صكوك الغفران ووعود الرخاء والأمان وتهدد البعض الآخر بالويل والثبور وعظائم الأمور ولا بأس من الحصار والتجويع فينفض الجمع وتتفرق الكلمة وتكون الكلمة العليا للدول الكبرى.

ومن هنا ينبغى على العالم أن يعى درس التاريخ فالعالم كله الآن المتقدم منه والمتخلف يقف على شفا حفرة من نار فالمصير واحد بالنسبة لكليهما ولا خلاص لهما من ذلك المصير إلا أن يتعاونا على إقامة مجتمع جديد يقوم على أسس أهمها السلام

١ ـ مشروع للسلام الدائم للفيلسوف «كانت» ترجمة الدكتور عثمان أمين .

والعدالة والمساواة وإلا كان البديل كارثة تحل بالإنسانية جميعاً، بل إن هناك فعلاً كارثة أحاقت بثلثى البشر - العالم النامى- من جوع وعرى وأمية وموت مبكر وإسكان لا يفى بالحد الأدنى من ضرورات الحياة. وتصحيح هذا الوضع البائس لهؤلاء الملايين، يستحيل أن يتحقق لأن العالم المتقدم جزء من علة هذه الكارثة، لأنه كلما اطرد به السير السريع فى التنمية والإنتاج تم الإسراف المجنون فى البذخ والتبذير، وكانت النتيجة المحتومة هى أن يزداد الفقير فقراً والمتخلف تخلفاً.

ومن سخريات القدر أن الثلث الذى احتكر الرفاهية واستأثر بالثروة لا يدرك أنه بإهماله شئون الآخرين يدعم ويشكل مأساوى قواعد الإرهاب ومواطن الفتن وحواضن الأوبئة الفتاكة وأنه إن عاجلاً أو آجلاً سيكتوى بالنار التى أشعلها أو على الأقل لم يعمل على إطفائها، وأنه وهو فى ملاذه الآمن سيفيق ذات يوم على كوارث لم تخطر له على بال.

الفصل الثالث

العنف والإرهاب أم العدالة والشرعية

سيظل الإرهاب مستمراً فى أنحاء العالم فى ظل غياب الشرعية الدولية والسلام العالمى والتعامل بمعايير مزدوجة.. وفى أجواء يسود فيها الظلم وقسوة الإحساس به، فضلاً عن الطغيان والبغى واليأس من إصلاحه، وفى إطار غربة مكانية لمن فقدوا الأمل، وحرموا العمل وطحنهم الإحساس بالمرارة واليأس فلم يجدوا إلا الغربة الزمنية ملاذاً ومهرباً وإلا الفكر المتطرف والإرهاب خلاصاً ومتنفساً، بل وسوف يزداد الإرهاب عنفاً فى ظل استمرار الكساد الاقتصادى وتداعياته السياسية والاجتماعية والنفسية.

إن التعصب والتطرف وغيرهما من السلوكيات غير السوية تؤدى إلى غربة الفرد " غربة مكانية " يترتب عليها "هجرة زمنية" وتكون النتيجة التقوقع ومقاومة التغيير والخوف من كل جديد وعدم مسايرة التطور مما يؤدى إلى ما أسميه بشلل فكرى فيصبح الفرد فريسة سهلة لدعاة الفتنة ويؤدى أيضاً إلى عدم رضاء أفراد المجتمع عن أنفسهم وسخطهم وتذمرهم وبالتالى يؤثر ذلك على إنتاجهم كماً وكيفاً، ويؤدى فى النهاية إلى اليأس والهجرة الزمنية أو الاعتبارية أى إلى العنف والإرهاب أو إلى الإدمان والجريمة، كما يؤثر على السلام الاجتماعى وينعكس ذلك على السلام والاستقرار العالمى.

وهنا لابد أن نفرق بين الإرهاب والعنف من ناحية والمقاومة

الشرعية من ناحية أخرى فالإرهاب هو وليد للتعصب الفكرى لرأى بذاته وعدم الاستماع للرأى الآخر ورفضه مقدماً ولا يكتفى عند ذلك، بل يتخذ من العنف وسيلة لفرض رأيه على الآخرين والاعتداء على حقوقهم والاستيلاء على أموالهم ظلماً وعدواناً.. أما المقاومة الشرعية فهى أمر تكفله كل الأعراف الدولية من أجل الحصول على الاستقلال والحرية والحياة الكريمة واسترداد الحقوق المغتصبة. وهنا تقع مسئولية كبيرة على عاتق المجتمع الدولى -خاصة القوى العظمى به- ومؤسساته التى تدعم السلام والأمن العالميين إذ ينبغى عليه أن يرد المعتدى عن عدوانه ويجعل من الشرعية الدولية سيفاً قاطعاً لكل أوجه الظلم والبغى والعدوان. وهناك من المواثيق الدولية والقوانين والاتفاقيات العالمية ما يكفى ليكون مرجعاً للشرعية الدولية يكشف أى طرف معتد أثيم سالب لحقوق الآخرين. وينبغى على المجتمع الدولى أيضاً أن يدرك أنه حيثما وجد الظلم والقمع والاضطهاد والتفرقة العنصرية وفقاً للعرق أو الدين وحيثما وجد الطامعون فى حقوق الغير سنجد حتماً عنفاً شديداً كحل وحيد لمقاومة ذلك كله وبما يؤثر سلباً على السلم والأمن العالميين وعلى رخاء البشرية عامة.

الفصل الرابع

السلام أمل الإنسانية وهدف الأديان

إن الحقيقة التي لا شك فيها أن السلام ضرورة للتقدم البشرى، وأن المجتمع الإنسانى لا يمكن أن يتقدم بخطى حثيثة نحو الرقى فى جو مشحون بالاضطرابات، والتوتر الدولى، والتهديد باندلاع نيران الحرب فى أية لحظة من اللحظات.. ولا حاجة بنا إلى ترديد تساؤل "كانت" عما قصد إليه صاحب فندق هولندى[1]، حين نقش على ناصية فندقه رسماً يمثل قبراً.. ترى هل أراد بذلك الشعار الساخر اللاذع أن يوجه اللوم إلى الناس عامة، أم خص به رؤساء الدول المتعطشين إلى الحروب دائماً، أم أن صاحب الفندق كان يجسد رؤية مستقبلية لمصير البشرية كلها فى إطار هذا الصراع المجنون نحو الهاوية. إن المجتمع الإنسانى لا يمكن أن يحقق وجوده، ويصل إلى أهدافه بدون أن يختفى شبح الحرب من مسرح العالم، ليحل محله غصن الزيتون وترفرف فيه حمائم السلام.

إن الإسلام دين الأمن والسلام يحرم استخدام السلاح من أجل القتل والتنكيل كما يحرم الاعتداء "والله لا يحب المعتدين". فليست دعوة الشعوب إلى السلام إذن دعوة غريبة عن الإسلام أو جديدة على نهجه، إنما هى دعوة نادى بها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً من الزمان. هذه حقيقة واضحة لا ترقى إليها الريبة، والبراهين كلها دامغة بأن الإسلام لم يكن فى يوم من الأيام دين

١ ـ مشروع للسلام الدائم للفيلسوف «كانت» ترجمة الدكتور عثمان أمين.

العنف أو البطش، أو شريعته الظلم والعدوان، إنما كان دين الحرية والمساواة والإخاء والأمان ونبذ التطرف وإعمال العقل والتدبر والتفكير.. والإسلام دين الإقناع والحوار.. وعدم التسلط "فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر" .. ويقول تعالى "فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر".. والإسلام دين الحوار المنطقى الهادئ الذى يستمع إلى الرأى الآخر مهما كان موغلا فى الخطأ " ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن".. والإسلام دين اليسر يقول تعالى "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر" ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "يسروا ولا تعسروا.. وبشروا ولا تنفروا".. والإسلام دين التسامح يقول تعالى فى كتابه الكريم: "ولا تستوى الحسنة ولا السيئة .. ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولىٌّ حميم" ويقول تعالى: "وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عُوقِبْتُم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين".. ويقول تعالى: " فمن عفا وأصلح فأجره على الله".. "والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين".. والإسلام دين السلام يقول تعالى: "وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله"، وقد جعل تحية المسلمين لبعضهم هى السلام عليكم ورحمة الله. وقد سمى نفسه عز وجل بالسلام فى قوله الكريم "هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام" وجعل السلام تحية أهل الجنة "تحيتهم يوم يلقونه سلام"، وسمى الجنة به "لهم دار السلام عند ربهم".. فالإسلام صورة مضيئة للتقدم البشرى والحضارة الإنسانية والسلام.

وقد سادت فكرة السلام طيلة القرون الوسطى وقام دعاة

السلام بنشر وبث المحبة بين الناس. فمن يرجع إلى شعر الشاعر الإغريقى هزيود[1]، يجد أنه يصف أى عصر ليس فيه حرب ولا قتال، وليس فيه سفك دماء ولا إزهاق أرواح بأنه عصر ذهبى. وكذلك فعل الشاعر الرومانى "فرجيل" حينما ردد تقاليد بعض شعراء العصور القديمة وآراءهم وحكمهم، وذكر نبوءة "سيبل" Sibyl بعودة عهد من السلام الدائم يرفرف بأجنحته البيضاء على الدنيا، ويعيش الناس تحت ألويته الخفاقة. وجاء الوزير "سولى" وزير هنرى الرابع ملك فرنسا، ووضع مشروعاً كبيراً، لنشر السلام والابتعاد عن الحروب، وكذلك فعل الأب سانت بيير St. Pierre فى القرن الثامن عشر، أما الفيلسوف ليبنز Leibnitz فكان صاحب فكرة فلسفية واحدة عن السلام، وهى وجوب إنهاء الحرب بين الأمراء.

كما وضع الفيلسوف الألمانى "كانت" فى القرن الثامن عشر مشروعاً للسلام الدائم وأشاد بحكماء العصور الغابرة حين أهابوا بالإنسانية أن تحرر نفسها مما يفرق بين الإنسان وأخيه الإنسان من لغات وأديان وأوطان، وأن ينظروا إلى الناس جميعاً وكأنهم أسرة واحدة، قانونها العقل ودستورها الأخلاق وهى نفس الفكرة التى دعا إليها أيضاً الفارابى فيلسوف الإسلام فى كتابه "آراء أهل المدينة الفاضلة" منذ القرن العاشر الميلادى - وأن أكبر شر يصيب الشعوب المتمدنة ناشئ عن الحرب، لأن الحرب تولد مع روح التكسب والتجارة، وهذا نوع من الأنانية والجشع. ذلك أن الإنسان اجتماعى بطبعه، وهو دائماً عضو فى مجتمع لا ينبغى

١ ـ الدكتور جمال الدين الرمادى : الأمن والسلام فى الإسلام.

أن يكون همجياً أو على بداوته الأولى، بل يجب أن ينظم تنظيماً يتيح لكل فرد فيه أن يمارس حريته ويحقق غايته الأخلاقية، وأن الجهود التى تبذل فى سبيل تحقيق تلك الغاية هى الحرية فى صميمها. وقد تشبع "كانت" بفكرة الفيلسوف الفرنسى الكبير "جان جاك روسو" الذى اقترح إنشاء تحالف بين الدول المختلفة من أجل تحقيق هذه الفكرة ونبذ فكرة الحرب وسفك الدماء. كما قام الفيلسوف الكبير "برتراند راسل" داعياً للسلام، وقاد المظاهرات وألقى الخطب، وعقد الندوات من أجل هذا الغرض، ووجه إلى العالم أجمع دعوات متكررة للسلام وإبعاد شبح الحرب الرهيب عن البشرية. ويقول برتراند راسل إن نشوب حرب نووية على نطاق واسع سوف يكون كارثة لا للطرفين المتحاربين فحسب بل للجنس البشرى كله. كما يقول إن وقف التوتر الدولى سوف لا يؤدى إلى منع الشرور فحسب بل إلى حصول كل الشعوب على فوائد جمة حيث أصبحت الأساليب التكنولوجية والعلمية الحديثة قادرة على رفع مستوى الحياة فى كل جزء من أجزاء العالم.

ومن العسير أن نتصور حكومة واحدة يكون فى استطاعتها أن تحكم العالم بأسره. ثم إن الحرب لا تَحسم بأى حال من الأحوال مسألة استعادة الحق أو تحقيق مكاسب غير عادلة.. وإذا كانت معاهدات السلم تضع حداً لحرب راهنة، فإنها لا تلغى ولا تمنع حالة الحرب الكامنة فى النفوس. لقد أصبح ضرورياً فرض الاقتناع لكافة الأطراف بأهمية وجود حالة من استحالة الحرب.. إن التفاوض الآن هو عملية حساب دقيقة لموازين القوة وقدرة كل طرف على الحركة بما يستلزمه ذلك من أهمية إقامة

بنية أساسية لحماية الوطن، وأهمية بناء ثقافة للسلام فى كل أنحاء العالم مبنية على استحالة الحرب مع إعادة بناء مفاهيم ومعتقدات وسلوكيات المجتمع فى إطار مشروع كامل.. والأمل فى جيل من الشباب يدرك أن الحياة أفضل من الانتحار وأن العمر أقصر من أن يهدر فى الصراعات والحروب وأن الأرض تتسع للجميع أحياءاً كانوا أم أمواتاً. وهناك مقولة لأينشتين تتكلم عن أن أى مشكلة لا يمكن حلها من خلال الوعى أو المنطق الذى تسبب فيها "No problem can be solved with the same consciousness which created it”.

إن الذين يتصورون وهماً أنه يمكن فرض السلام بالقوة وحدها بصرف النظر عن مقتضيات العدل والمنطق مخطئون ويفتقدون رؤية مستقبلية ويتجاهلون عامل الزمن الذى يمكن أن يؤثر على توازنات القوى، كما أنهم لا يعون دروس التاريخ التى تؤكد باستمرار أن دوام الظلم زمناً لا يرتب حقاً ولا يقنن وضعاً، وأن مشاعر الظلم ومرارة الإحساس بفقدان الحق تولد مع الأيام - وفى لحظة قاسية - طاقة هائلة تكسر حلقة الطغيان وتقلب موازين القوى.

إن نشر ثقافة السلام - وهو أحد الأهداف الرئيسية لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة UNESCO - من أهم المهام التى يتعين على العالم أن يتعاون فى شأنها.. إن إدخال مفهوم السلام فى مناهج التعليم فى كافة مراحله هو هدف يجب أن يسعى المجتمع الدولى إلى استكماله وتدعيمه فى أسرع وقت ممكن.. إن مفاهيم الحرب والسلام تبدأ أولاً فى عقول البشر ويجب ونحن نشكل عقلية الأجيال القادمة أن نجعل من السلام

بنيـة أسـاسـيـة تسـمح بالتـفكيـر العـقـلانى الذى يسـتطيع وحـده أن يحـقق الرفـاهـيـة والإعـمـار فى كل ربوع العـالم وأن يـكفل الحـيـاة الكريمة لكل البشر.

الفصل الخامس

نحن وأحداث ١١ سبتمبر

لقد دخلنا بعد تلك الأحداث - ما بعد ١١ سبتمبر- في مواجهة ظروف دولية خطيرة وحساسة، أتصور أن مصر محتاجة الآن إلى أن تتسلح بقدرة واعية على رصد إرهاصات المستقبل والتحولات القادمة لكى نغتنم الفرص المتاحة فى الوقت المناسب. ونحن لا زلنا فى حاجة إلى روح الثورة، وذلك لأن المشاكل التى أمامنا سواء كانت داخلية أو خارجية محتاجة أكثر من أى وقت مضى إلى إرادة التغيير، وإلى تدعيم قوتنا الذاتية وإلى أن نتسلح بالقوى الجديدة الواعدة.. القوى الشاملة.. قوة العلم والمعرفة.

فبعد ١١ سبتمبر تعقدت الأمور بشكل خطير جداً وقد وُضِعْنا جميعاً كدول عربية وإسلامية فى موقف الدفاع وأصبحت إسرائيل المستفيد الأكبر من هذه الأحداث حيث استطاعت أن تربط بين أحداث ١١ سبتمبر والإرهاب وما يحدث فى الأمة العربية، واستغلت مصادفات غير سعيدة فى أن تقنع العالم ببعض الأفكار المغلوطة ونسبت الإرهاب للإسلام والعرب وخلطت بين الدفاع الشرعى عن النفس والاعتداء على الغير وبين حركة التحرر الوطنى والإرهاب وبين الأعمال الفدائية والأعمال الإرهابية وأصبحنا نحن فى الحقيقة فى موقف شديد التعقيد وشديد الصعوبة.

وقد دعا هذا كله الرئيس مبارك إلى القيام بجولات فى أوروبا وأمريكا بهدف تبرئة الإسلام وتوضيح صورته السمحة

والتى تبين بجلاء أنه دين سماوى بعيد كل البعد عن الإرهاب والعنف ، ونجح فى تبديد الربط بين الإسلام والإرهاب وفى إجهاض فكرة صدام الحضارات، وفى إيقاظ الوعى الإنساني فى النفوس، فبالوعى الإنسانى ترسخ فى نفوس الناس المثل العليا والقيم الروحية، والمعانى الجميلة، فالوعى الإنسانى هو الذى ينبه إلى الظلم كيف يُرفع وينبه الناس إلى الأخطار المحدقة بهم فى الداخل والخارج.

الفصل السادس

زمن الهوان

إن ما يحدث اليوم حولنا فى فلسطين والعراق وأفغانستان وفى المنطقة العربية وفى أمريكا وأوروبا وفى تطبيق ثنائية المعايير وفى إشاحة المجتمع الدولى عن مواجهة الظلم أو حتى الاعتراف بوجوده إنما يتم فى النهاية طبقاً لحسابات دقيقة لموازين القوة ومعايير المصالح ولابد أن نفيق إلى حقيقة مؤلمة هى أن لغة الخطاب العربى والإسلامي أصبحت لا تتمشى مع حقائق الواقع الدولى وعلى أحسن الأحوال فإن رد الفعل تجاه هذا الخطاب لا يخرج عن الاستخفاف فضلاً عن تقييمنا بالغفلة والتخلف كما أنها إقرار واضح منا بالعجز الكامل أمام العالم، وأمام شعوبنا وأمام التاريخ..إن الخوف من مواجهة الحقيقة والعجز عن رد الفعل المناسب وعدم القدرة على اتخاذ الخطوات العملية لتغيير الاختلال فى موازين القوة سيؤدى فى النهاية إلى تعرية كاملة للنظم العربية، وإدانة شعبية وتاريخية لقيادات هذا الجيل.

لقد تغيرت المفاهيم والاتجاهات فى عالم ما بعد الحادى عشر من سبتمبر فمن حوار حول الحضارات إلى هيمنة الحضارات ومن قبول الآخر إلى إرهاب الآخر ومن الشرعية الدولية إلى السطوة الدولية ومن الحرص على تغليف الهيمنة بطبقة من السكر إلى الإصرار على إلقامها بجرعة من العلقم ومن هنا تبدو خطورة الانسياق إلى ترك الأمور للزمن فالموقف

إرادة وقرار والتردد عجز وفرار ومن هنا لابد لنا من مواجهة الأمر الواقع بمرارته، والعزم على تغييره، وكسر الحصار المفروض علينا، والتخلص من كسر إرادة بعضنا وفرض السيطرة علينا، والعمل على إعادة تغيير موازين القوة.. إننا لا نريد أن نكون أتباعاً، وننظر بمنظار يقدمه لنا الآخرون ويرون الأمور من خلاله، أو كما يراد لنا أن نراها من خلال هذا المنظار، فالقطب الأوحد له رؤيته الخاصة ورددها وراءه أتباعه وأضافوا إلى ذلك أن العالم قرية واحدة صغيرة لا تحتمل الاختلاف بينما القرية الواحدة تعج بالخلاف، وبنظرة سريعة إلى الوضع العالمى القائم يتبين أمامنا:

أولاً: تمكن القطب الأوحد المتمثل فى الولايات المتحدة الأمريكية ومن يسانده من دول الغرب من السيطرة على العالم.

ثانياً: السيطرة الصهيونية على معظم الدول الغربية والشرقية وتوجيهها لتحقيق مصالحها وأهدافها ومخططاتها.

ثالثاً: الضعف المزرى الذى تعيشه الأمة العربية والإسلامية " زمن الهوان " من ضعف الهمة وقلة الحيلة وتشتت الرأى وهوان المسلمين على أنفسهم وعلى الناس، واستكانة الكثيرين منهم فى معارك السيطرة عليهم، فالقوة العربية أصبحت ظاهرة صوتية. وهذا الوضع ملموس وله أسبابه ولا شك له نتائجه كذلك. وهنا تحضرنى مقولة شهيرة "هنّا على أنفسنا، فهنّا على الناس"، ولكن أين القلة من المفكرين والكتاب والأدباء والرسامين والموسيقيين والعلماء... إلخ؟ لكى يحللوا ويوضحوا ويكوِّنوا فى النهاية موقفنا الخاص النابع من أفكارنا والمؤكد لإرادتنا وهويتنا الوطنية لنخرج

من الحالة التى نحن عليها الآن.

قد يعيش الفرد العادى فى كل أمة- ذلك الذى يسمونه رجل الشارع- دون إدراك للأحداث التى تدور حوله أو وعى بها، وذلك لأنه ينظر إليها نظرة جزئية أو شخصية أو لأنه لا صبر له على التعمق فى تحليلها فهو يتناول الأمور جاهزة من وسائل الإعلام كما يتناول وجبة جاهزة من مطاعم ماكدونالدز الشهيرة وليس أمامه أو ليس له حيلة إلا الرفض وعدم تقبل التغيير أو مسايرة التطوير والاكتفاء بأن يقدم إليه إنتاج الدول المتقدمة ولسان حاله يقول عن فهم مغلوط لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: " لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً"، وتحويره إلى: لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تلبث فى أعشاشها وتفتح أفواهها فتصبح خماصاً وتمسى بطاناً.

إننا لا نريد لأنفسنا شللاً فكرياً، لأن مثل هذا الشلل الفكرى إذا ما تفشى يصيب الناس بجمود فى قدراتهم العقلية وهزال فى حياتهم الثقافية بوجه عام. وهذا يحدث لأى أمة إذا وهنت قواها وفترت عزائمها.. إن النهر القوى فى تدفق مائه يمضى فى طريقه يشق به الصخر ويجرف الأعلاق والشوائب، أما إذا ما ركد ماؤه فى مستنقع هنا أو هناك، وجدت تلك الشوائب والأعلاق مرعاها الخصيب.